

معرض جنان باشو: مختارات.. واقع يجرده الإحساس

بيروت - لوريس الرشعيني



الفنانة جنان مكي باشو - أوان



يستقبل غاليري «art circle» في شارع الحمرا في بيروت، معرض الفنانة التشكيلية جنان مكي باشو بمختارات لأعمالها خلال السنوات الثلاث الأخيرة، تحت عنوان «أعمال مختارة 09-07»، الذي يجول في محطات نفسية خاصة وتجارب شخصية عاشتها الفنانة وعبرت عنها اللوحات.

لا تعتمد الفنانة إلى اقتداء منهجية محددة أو الانغماس بتحديد لموضوع أو لعنوان ينمط العرض، لنشهد إبحاراً غرائبياً يلامس عمق التجريد ويصرخ منتفضاً من هواجس الذات، نافثاً أهزوجةً لونيةً تُسكب على بياض اللوحة فتعيثه تشكياً لونياً عبثياً ينطلق عفواً من ثورة روح لا تستكين، عبوراً على محطات الحرب والغربة والحنين والعشق والعودة إلى الوطن.. هي ملاسة خبرات اقتنصت فرصتها من مأساة الهجرة والتهجير، لتغور في أعماق الثقافات العالمية والتجارب

التشكيلية لدى رواد الفن في فرنسا وأميركا، حيث تدرست أكاديمياً على كل المستجدات التقنية في الفن التشكيلي، ونالت الشهادات في ذلك لتدرس حالياً مادة الطباعة في الجامعة الأميركية في لبنان.

تشير اللوحات إلى عفوية المعالجة، وانطلاق الشعور متأججاً في مساحات لونية غير متكافئة، تتجاوز بتضارب هويتها، وبسماكات غير متناسقة تنفر فجأة من داخل اللوحة فتشحنها بعامل جذب يكمل أخيراً بوضع دخائل القماش أو الخشب أو الأقراص الممغنطة، وغيرها من مواد تتماشى والحاجة الإشباعية الخاصة لبث الحياة في اللوحة وإغناء لغة تواصلها مع الآخر، التي قد ترتوي بالتوسيع اللوني، أو بتمزيق موضعي لخلق أعماق متفاوتة، وفي ذلك إشارة إلى حرفة الفنانة بالنحت وتأثرها به.

وعلى رغم من كل هذه العبثية التي تؤكد الفنانة بصفقتها تعبيراً صريحاً عن الذات، وإطلاق عنان الحرية غير المحدودة بسقف أو مدى، لتصارع المشاعر الألوان فوق حلبة «الكانفاس»، ولينتصر الإحساس الخاص الذي يستوقف العابر ليحمله تساؤلات تفوده إلى أعماق اللوحة، فإن حالة التصوف تلك التي تعيشها الفنانة مع اللوحة تخفي في لا وعيها المثقل بالدراسات الأكاديمية والخبرات العملية جمالية الحرفة وإضفاء النضج على اللوحات المرافقة في إحساسها، لتضحي الفوضى ببناء برويا مخملية راقية تقيد هواجس الفنان بإشكالية التشكيل المتجدرة في توجهاته مع اللون واللوحة، فلا تغيب بذلك هالة المعرض العصرية «المودرن» بانطباع رفيع المستوى يعمقه بروز لهوية اللون وإنارته ذاتياً، وإضفاء الرونق عبر استخدام مادة سوداء رملية الهينة ببريق ألماسي تقول الفنانة بأنها نتاج تأثرها بالحياة في إفريقيا، وربما نلمس ذلك في الحوارية الكائنة بين جزئيات اللوحات، التي تبدأها صارخة بسكب لوني طازج الهينة، متشعب متناثر القوام، تبرز فيه الأرضية الحمراء التي تخترقها نقائص تصارعها حدة، كالأزرق والأسود منغرساً في قلب اللوحة، و«تاتش» الأصفر يكلل المقدمة، وتتطاير أجزاء من كل ذلك موسخة اللوحة جمالياً بتدرجات ألوانها، التي تواكب الحياة المكرسة بأجسام «الميكس ميديا»، وتقنيات تنفر المواد الدخيلة فتكسر أي فرصة للانسجام، في تجسيد لذروة الصراع الداخلي.

وتتاليها بلوحات تتبلور فيها المشاعر وتحدد ملامحها، في تماسك لوني معلوم الجنس والهينة، تتخلله مساحات بيضاء، ويغزوه بريق المادة السوداء فضية الضوء مع الـ «كونتراس» المترافق بين كل ذلك، فيقترب القارئ من فك رموز اللغة الإيحائية، ويهدم أجيح الثورة نوعاً ما، لننتقل بعد ذلك إلى لوحات ترايبية الغزوة اللونية هادنة التبشير، تأثرت فيها مكي ببوادي الكويت التي عاشت في كنفها أجمل أيام حياتها، حسب الفنانة، بعد هروبها والأهل من حرب الجسد والروح في لبنان، حيث عملت في مجال الصحافة في إحدى الصحف الكويتية، ونعمت بهدنة لقاء مع الذات ومع الآخر، ورغم كل الرغد النفسي الذي أفصحت عنه مكي إلا أنه لم ينف القلق الدفين عبر تجاذب وتنافر لـ «تاتش» الألوان المتصارعة في خيالاتها من أحمر وأزرق وأصفر وأسود في تناقض المرصوص النفسي بين الأمل والنكسة الحاصلة أصلاً، ويتجلى هذا أكثر في المتمم من لوحات التراب اللوني ذهبي الهينة، الذي يتحول على رغم من زهو ألوانه وتعميق دنفها بالزهري والأخضر الفاتح المتألق عمقاً مكتنفاً اللوحة كلها، يتحول إلى زوبعة رملية تائهة المعالم متمركزة التأثير البنائي للون الأساس وروافده المتواردة من ألوان مغايرة، التي قد يضيفها الـ «كونتراس» الضوئي المتمتع بكلية الأشياء بشيء من الأمل والوعد.

وننتقل إلى مرحلة تشكيلية أخرى في المعرض، حيث تصخب الخلفية بالأبيض وتدرجاته المضيئة، كما تتحدد قراءات لونية تضاء بدورها بتوسيع الأبيض والأصفر، مع تداخلات مزجية لألوان اللوحة ذاتها، أو لأخيلة غريبة اللون عنها، في هدوء داخلي بثته نغمات بسيطة النوتة مستقرة الآلة.

ثم نشهد انتقالاً للحوارية اللونية المكرسة في خلفية اللوحة التي حددت بلون أو اثنين، إلى حوارية التقنيات المستهلكة بغالبيتها، من تضارب ألوان وتفاوت سماكات، وتمزيق أساس ودخول «الميكس ميديا»، وفي النهاية ذري المادة الرملية السوداء على كل ذلك.. كما ضمنت اللوحات جدلية مركزية نافرة لوتحت بشخص تفاوت عددهم، وكأن لغة الذات وخط الحياة الفردية، انتقل إلى حديث مع الآخر وتواصل ضمن الجماعة.

مع كل هذا الخصب التشكيلي والرزاز النفسي مشنت الغيم، ينضح عشق الكلمات عند الفنانة ليزاوج التشكيل ويبوح بأسراره ويهيج أساريره، من خلال كتابات شعرية لكتب ترفقها مع المشهدية الفنية، يكرسها إحساس مفرط الرهافة، نذكر منها بعض الأبيات من ديوانها «حكيت لوحة»:

« مغامرة نحو اللامألوف تضع في دهاليز المأزق

ربما هي الرغبة في النجاة أو استمرارية الحياة

تنزلق الألوان... ... تتخبط

تتلاطم كالأمواج تجيش الرغبات...

... تنذر بعاصفة ثم فجأة تنقشع السماء

.. كيف؟ لا جواب

فقط نشوة يرتج لها داخلك..

.. وتنفرج لها أساريرك».

تاريخ النشر : 03-05-2010